ضعف المسلمين

أمام عدوهم

الداء والدواء



سماحة الإمام

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله تعالى

دار ابن الأثير

ضعف المسلمين

أمام عدوهم

الداء والدواء

سماحة الإمام

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله تعالى

دار ابن الأثير

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

دار ابن الأثير

للنشــر والتــوزيــع

المملكة العربية السعودية - ص . ب ٦٤٣٧٧ الرياض ١١٥٣٦

هاتف : ٤٢٨٥٣٩٠ المعرض : ٢٦٧٧٥٨٤ فاكس : ٢٦٧٢٥٥٨

التوزيع : ٠٥٠٦١٠٨٦٦٧ - ٠٥٠ ١٠٨٧٠٧ الغربية : ٠٥٠٦٤١٦٠١٩

الموزع بجمهورية مصر العربية : ٠١٧٢٢٧٨٤٥٣٩

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، والصلاة والسلام على القائل: «**مَن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة**»[١]، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين... أما بعد:

فمِن المعلوم أنه كلمَّا تأخَّر الزمان وبَعُدَ الناس عن آثار الرسالة المحمدية فشا الجهل وكثرت الخرافة والبدع واشتدت غربة الدين، حتى يظن الناس أن الدين هو ما وجدوا عليه آباءهم حتى لو كان مخالفاً للشرع الحنيف.

ولكن نبينا عليه الصلاة والسلام أخبر بأن هناك طائفة من المسلمين منصورة «**لا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرهم مَن خذلهم حتى تقوم الساعة**»[٢]، وأن الله لا يُخلي الأرض من قائم يقوم بالحجة على أهلها «**إن الله يبعث لهذه**

---

(١) مسلم (٤٨٦٧).

(٢) الترمذي (٢١١٨)، وابن ماجه (٦).

الأمة على رأس كل مائة سنة مَن يجدد لها دينها»[١].

ولا يزال ظهور هؤلاء المجددين ـ ولله الحمد ـ يتوالى على هذه الأمة عند اشتداد غربة الدين والحاجة إليهم، فمن هؤلاء الإمام أحمد بن حنبل، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام محمد بن عبدالوهاب، عليهم جميعاً رحمة الله.

ومنهم في هذا الزمان: سماحة الإمام القدوة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ، فهو إمام هذا العصر بلا نزاعٍ، فقد اجتمعت له من الخصال الطيِّبة ما تفرقت في غيره، فقلَّ أن تجد له مثيل بين أهل العلم.

يا رائد العلم في هذا الزمان ويـا
مجـدد العصر في عِلمٍ وأعمـالِ
حقًّا فقـد عـرف التاريـخ كوكبـة
مُضيئـةً مـن صناديـدٍ وأبطـالِ
مثل ابن حنبل أو مثل ابن تيميـة
أو البخـاري فـي إسـناده العالـي

(١) أبو داود (٣٧٤٠).

لكنَّنا يا حبيب القلب نُبصرهم

كأنما مثلوا في شخصك الغالي

وسماحة الإمام عبدالعزيز بن باز من العلماء العاملين ـ ولا نزكيه على الله ـ الذين أثنى الله عليهم في كتابه العزيز وأثنى عليهم النبي عليه الصلاة والسلام في سنته الشريفة. قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، فذكر سبحانه وتعالى شهادة أهل العلم مع شهادته ـ عز وجل ـ وشهادة الملائكة على أعظم مشهود به وهو التوحيد. وكذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر: ٩]، ففرَّق سبحانه وتعالى بين العلماء والجهال ونفى بينهم التسوية، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الرعد: ١٩].

كما أن سماحة الإمام ـ رحمه الله ـ من أهل الخشية الذين هم أهل العلم بالشريعة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ لأنهم أعرف الناس بالله وأسمائه وصفاته،

ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف.

وسماحة الإمام عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ من ورثة الأنبياء «العلماء ورثة الأنبياء» الذين ما أتوا من أجل الدنيا وعَرَضُها الزائل «إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً»(١). فمهمتهم أعظم وأجلُّ من ذلك: وهي الدلالة على توحيد الله والإخلاص له وهداية الناس إلى صراط الله المستقيم.

وسماحة الإمام له نصيب كبير من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، فقد وضع الله سبحانه وتعالى محبة هذا الإمام في قلوب الناس كبيرهم وصغيرهم، شريفهم ووضيعهم، غنيهم وفقيرهم، محبة صادقة لله يجدونها في قلوبهم لهذا الإمام الكبير الزاهد عليه رحمة الله.

ونرجو أن يكون الشيخ ممن قال فيهم الرسول ﷺ: «خيركم مَن طال عُمره وحَسُنَ عمله»(٢)، فقد عاش الشيخ

---

(١) الترمذي (٢٦٠٦)، وأبوداود (٣١٥٧)، وابن ماجه (٢١٩)، والدارمي (٣٤٦).

(٢) الترمذي (٢٣٥٢).

تسعاً وثمانين عاماً أغلبها في العلم والتعليم والفُتيا والدعوة إلى الله ونصرة المجاهدين والدفاع عن قضايا المسلمين في أقطار المعمورة.

حيثُ كان مولده في مدينة الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ، وكان سماحته مبصراً في أول الدراسة، ثم أصابه المرض في عينيه عام ١٣٤٦هـ، فضعف بصره بسبب ذلك.. ثم ذهب بالكلية في مستهل محرم من عام ١٣٥٠هـ.

لـو أن لـي حيلـة أهديتـه مُقلـي
فليس شيءٌ على شيخ الهدى غالِ
لكـنَّ عينيه في الميزان راجحـةٌ
تُزري بمليون مـن أبصـار أمثالـي

وقد بدأ سماحته الدراسة منذ الصغر وحفظ القرآن قبل البلوغ ثم بدأ في تلقي العلوم الشرعية والعربية على أيدي كثير من علماء الرياض.

وبعد هذه الحياة المديدة بالعطاء والعلم والتدريس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ها هو الفارس يترجَّل عن جواده ويُسلِم الروح إلى باريها، بعد صراع مع المرض،

وذلك فجر يوم الخميس ٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ في مدينة الطائف.

وقد صحَّ عن نبينا محمد عليه من ربه أفضل صلاة وأتم تسليم أنه قال: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جُهَّالاً...**»(١) فقبض العلم: هو موت العلماء الربَّانيين، علماء الشريعة، أهل الخشية من الله.

وما أن سمع الناس الخبر حتى صُعِقوا وحلَّ بهم الأسى والحزن، ولم يصدقوا الخبر حتى أعلن الديوان الملكي خبر وفاته وأنه سيُصلى عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الجمعة ٢٨/ ١/ ١٤٢٠هـ ويُدفن في مقابر العدل.

فُجعت به الدنيا فكل مدينة
تبكي على الإسلام والقرآنِ
يوم الجنائز أنت أكبر شاهد
للمفتري والعالم الرباني
تروي جنازتكم جنازة أحمد
أعني ابن حنبل أو فتى حرانِ

---

(١) البخاري (٩٨).

جُرح الجزيرة من فراقك نازف
والرزء من دكا إلى تطوانِ
واشتد في مصر العويل وطنجة
وكتائب الأفغان والشيشان
والمسلمون مصابهم بك واحد
في كل بيت ضاق بالحدثانِ
أبكيك ثم أقول يا نفس اصبري
مات الرسول المصطفى العدنانِ

بين يديك ـ أخي المسلم أختي المسلمة ـ هذا الكتاب الذي يصف داء الأمة العضال، وهو من تراثه العلمي المبارك، حيث أن للإمام قبول عند الناس ـ خاصتهم وعامتهم رجالهم ونسائهم ـ وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

هذا وأسأل الله العظيم أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يغفر لشيخنا ووالدنا سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز على ما قدَّم لهذه الأمة المسلمة من أعمال جليلة، سيُسطرها تاريخ العلماء

بماء من ذهب.

فجزاك ربك خير ما جزى امـرءاً
نصـر الشـريعـة طيلـة الأزمـانِ
وحبـاك تاج الفوز في دار الرضى
ودخلـت فـي أُنـس مـن الريَّـانِ
وشربت من كأس يفيض رحيقـه
بالمسلك في روح وفي ريحـانِ
في مقعد الصدق الذي جاءت به
آي الكتـاب ومحكـم الفرقـانِ
ورأيـت ربـك في جنـان نعيمـه
وأجـل فـوز رؤيـة الرحمـنِ

والله أعلم وأحكم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ضعف المسلمين أمام عدوهم (الداء والدواء)

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وعلى آله وأصحابه ومَن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين. أما بعد:

فلقد اهتمَّ أرباب الفكر الإسلامي وأصحاب الغيرة الإسلامية وأصحاب التفكير الكثير بحال المسلمين وما آل إليه أمرهم.

لقد شغلهم هذا الأمر كثيراً وفكَّروا كثيراً في أسباب ضعف المسلمين، وفي أسباب تأخرهم أمام عدوهم، وفي أسباب تفرقهم واختلافهم، وفي أسباب تسليط العدو عليهم حتى أخذ بعض بلادهم.

ثم بعد أن عرفوا الأسباب ـ وهي واضحة ـ اهتموا أيضاً بأن يعرفوا العلاج لهذه الأسباب التي أوجبت التأخر والضعف وهي معلومة أيضاً، ولكن يجب أن تُنشر وأن تُبين،

فإن وصف الداء ثم الدواء من أعظم أسباب الشفاء والعافية.

فإن المريض متى عرف داءه وعرف دواءه فهو جدير بأن يبادر إلى أخذ الدواء ثم يضعه على الداء.

هذه طبيعة الإنسان العاقل الذي يحب الحياة ويحب الخلاص من الأمراض، يهمه أن يعرف الداء وأن يعرف الدواء.

التعايش مع الذل:

ولكن بعض الناس قد يغلب عليه الداء ويستولي عليه حتى يرضى به ويستلذ وحتى يموت شعوره، فلا يبالي بمن يصف له الدواء؛ لأن الداء صار سجية وطبيعة له يرتاح له ويقنع بالبقاء معه لانحراف مزاجه وضعف بصيرته وغلبة الهوى عليه وعلى عقله وقلبه وتصرفاته كما هو الواقع في أكثر الناس بالنسبة للأدواء الدينية وعلاجها.

فقد استلذَّ الأكثر وطاب له البقاء على أمراضه وسيئاته التي أضعفته وعطَّلت حركاته وجعلته لا يحس بالداء في الحقيقة، ولا يحس بنتائجه ولا بما يترتب عليه في العاجل والآجل، ولا ينشد الدواء ولا يحرص عليه ولو وُصِفَ له وبُيِّن له ولو كان قريبا منه؛ لأنه لا يهم ذلك، وما ذاك إلا لاستحكام الداء وارتياح النفس له، وخفاء ضرره عليه وعدم الهمة العالية لتحصيل المطالب العالية.

الـداء (الجهـل):

وقد بيَّن العلماء وأصحاب الفكر النيِّر وأرباب البصيرة النافذة والخبرة بأحوال الأمم في هذا العصر وقبله بعصور أسباب ضعف المسلمين وتأخرهم، كما بيَّنوا أيضاً وسائل العلاج الناجع ونتائجه وعاقبته إذا أحسن استعمال الدواء.

وترجع أسباب الضعف والتأخر وتسليط الأعداء إلى سبب نشأت عنه أسباب كثيرة وعامل واحد نشأت عنه عوامل كثيرة، وهذا السبب الواحد والعامل الواحد هو: الجهل؛ الجهل بالله وبدينه وبالعواقب التي استولت على الأكثرية، فصار العلم قليلاً والجهل غالباً.

وعن هذا الجهل نشأت أسباب وعوامل منها:

١- حب الدنيا وكراهية الموت.

٢- إضاعة الصلوات واتِّباع الشهوات.

٣- عدم الإعداد للعدو والرضىٰ بأخذ حاجاتهم من عدوهم.

٤- عدم الهمَّة العالية في إنتاج حاجاتهم من بلادهم وثرواتهم، ونشأ عن ذلك أيضاً التفرق والاختلاف وعدم جمع الكلمة وعدم الاتحاد وعدم التعاون.

فعن هذه الأسباب الخطيرة وثمراتها وموجباتها حصل ما حصل من الضعف أمام العدو، والتأخر في كل شيء إلا ما شاء

الله، والإقبال على الشهوات المحرمة والشغل بما يصد عن سبيل الله وعن الهدى، وعدم الإعداد للعدو لا من جهة الصناعة ولا من جهة السلاح الكافي الذي يخيف العدو ويعين على قتاله وجهاده وأخذ الحق منه، وعدم إعداد الأبدان للجهاد وعدم صرف الأموال فيما ينبغي لإعداد العدة للعدو والتحرز من شره والدفاع عن الدين والوطن.

ونشأ عن ذلك المرض الحرص على تحصيل الدنيا بكل وسيلة وعلى جمعها بكل سبب، وأصبح كل إنسان لا يهمه إلا نفسه وما يتعلق ببلاده، وإن ذهب في ذلك دينه أو أكثره.

هذا هو حال الأكثرية وهذا هو الغالب على الدول المنتسبة للإسلام اليوم، بل يصح أن نقول: إن هذا هو الواقع إلا ما شاء الله جل وعلا من بعض الإعداد وبعض التحرز على وجه ليس بالأكمل وليس بالمطلوب من كل الوجوه.

ويدل على أن أعظم الأسباب هو الجهل بالله وبدينه وبالحقائق التي يجب التمسك والأخذ بها، هو قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «مَن يُرِد الله به خيراً يفقهه في الدين» رواه الشيخان البخاري ومسلم في الصحيحين، مع آيات في المعنى وأحاديث كلها تدل على خبث الجهل وخبث عواقبه ونهايته وما يترتب عليه، بل القرآن الكريم مملوء بالتنديد

بالجهل وأهله والتحذير منه كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام: ١١١]، وقال سبحانه: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المائدة: ١٠٣]، إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على ذم الجهل بالله، والجهل بدينه والجهل بالعدو، وبما يجب إعداده من الأهبة والاتحاد والتعاون، وعن الجهل نشأت هذه الأشياء التي سبقت من فرقة واختلاف وإقبال على الشهوات وإضاعة لما أوجب الله وعدم إيثار الآخرة، وعدم الانتساب إليها بصدق، بل لا يهم الأكثرية إلا هذه العاجلة كما جاء في الآية الكريمة من كتاب الله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١]، وكما في قوله جل وعلا: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات: ٣٧-٣٩]... إلخ.

حب الدنيا وكراهية الموت:

وعن الجهل أيضا نشأت هذه الكوارث وهذه العواقب الرديئة التي هي حب الدنيا وكراهية الموت، والإقبال على الشهوات، وإضاعة الواجبات والصلوات، وإضاعة الإعداد للعدو من كل الوجوه إلا ما شاء الله من ذلك. ومن ذلك التفرق والاختلاف وعدم الاتحاد والتعاون إلى غير ذلك.

فالجهل داء عُضال يميت القلوب والشعور، ويضعف

الأبدان والقوى، ويجعل أهله أشبه بالأنعام لا يهمهم إلا شهوات الفروج والبطون وما زاد على ذلك فهو تابع لذلك من شهوات المساكن والملابس. فالجاهل قد ضعف قلبه وضعف شعوره وقلّت بصيرته، فليس وراء شهوته الحاضرة وحاجته العاجلة شيء يطمح إليه ويريد أن ينظر إليه. وقد جاء في الحديث الذي رواه أحمد وغيره بإسناد حسن عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها**» قيل: يا رسول الله، أمِن قِلَّة بنا؟ قال: «**لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب عدوكم منكم ويوضع في قلوبكم الوهن**»، قالوا: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**».

وهذا الوهن الذي ورد في الحديث إنما نشأ عن الجهل الذي صاروا به غثاء كغثاء السيل، ما عندهم بصيرة بما يجب عليهم بسبب هذا الجهل الذي صاروا به بهذه المثابة.

فقد سيطر الوهن عليهم واستقر في قلوبهم ولا يستطيعون الحِراك إلى المقامات العالية والجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته؛ لأن حبهم للدنيا وشهواتها من مآكل ومشارب وملابس ومساكن وغير ذلك أقعدهم عن طلب المعالي وعن الجهاد في سبيل الله فيخشون أن تفوتهم هذه الأشياء.

وكذلك أوجب لهم البخل حتى لا تصرف الأموال إلا في هذه الشهوات، وأفقدهم هذا الجهل القيادة الصالحة المؤثرة العظيمة التي لا يهمها إلا إعلاء كلمة الله والجهاد في سبيل الله وسيادة المسلمين وحفظ كيانهم من عدوهم، وإعداد العدة بكل طريق وبكل وسيلة لحفظ دين المسلمين وصيانته وإعلائه وحفظ بلاد المسلمين ونفوسهم وذرياتهم عن عدوهم.

فالجهل أضراره عظيمة وعواقبه وخيمة، ومن ذلك ما بيَّنه النبي ﷺ من ذُل المسلمين أمام عدوهم ووصفهم بأنهم غثاء كغثاء السيل، وأن أسباب ذلك نزع المهابة من قلوب أعدائهم منهم؛ أي أن أعداءهم لا يهابونهم ولا يقدرونهم لما عرفوا من جهلهم وتكالبهم على الدنيا والركون إليها.

فالعدو إنما يعظم القوة والنشاط والهمة العالية والتضحية العظيمة في سبيل مبدئه. فإذا رأى العدو أن هذا الخصم المقابل له ليس له هذه الهمة، وإنما هو يهتم لشهواته وحظه العاجل أعطاه من ذلك حتى يوهن قوته أمامه، ويصرفه عن التفكير في قتاله لانشغاله بحب الدنيا والانكباب على الشهوات.

فالوهن أصاب القلوب إلا ما شاء الله واستحكم عليها إلا من رحم ربك وما أقلهم، فهم في الغالب قد ضعفوا أمام عدوهم، ونزعت المهابة من قلوب أعدائهم منهم، وصار

أعداؤهم لا يهتمون بهم ولا يبالون بهم ولا ينصفونهم؛ لأنهم عرفوا حالهم وعرفوا أنهم لا قوة ولا غيرة عندهم ولا صبر لهم على القتال، ولا قوة أيضاً تعينهم على القتال، ولم يعدوا لهذا المقام عدته، فلذلك احتقرهم العدو ولم يبال بشأنهم وعاملهم معاملة السيد للمسود، والرئيس للمرؤوس، وهم سادرون في حب الدنيا والبُعد عن أسباب الموت إلا من رحم ربك، حريصون على تحصيل الشهوات المطلوبة بكل وسيلة، حذرون من الموت حريصون على العلاج والدواء عن كل صغيرة وكبيرة من الأدواء خوف الموت، وحريصون أيضاً ألا يتعاطوا أمراً يسبب الموت والانقطاع عن هذه الشهوات.

الـدواء (العلم):

فقوله ﷺ: «مَن يُرِد الله به خيرا يفقهه في الدين» يدل على أن من علامات الخير والسعادة للفرد والشعب والدولة أن يتفقهوا في الدين.

فإن الإقبال على التفقه في الدين والتعلم والتبصر بما يجب عليهم في العاجل والآجل من أوجب الواجبات، وفي ذلك علامة على أن الله أراد بهم خيرا.

ومن ذلك ـ مع إعداد للعدو ـ تأدية فرائض الله والانتهاء عن مَحارم الله والوقوف عند حدود الله.

ومن ذلك أيضا أن يوجد في بلاد المسلمين من الصناعة والإعداد والقوة ما يستطيع كل فرد بكل وسيلة، حتى لا تكون حاجاته عند عدوه، وحتى يعلم عدوه ما لديه من الإعداد والاستعداد فيرهبه وينصفه ويعطيه حقوقه ويقف عند حده، وحتى يحصل إعداد الأبدان وعدم الرفاهية التي تضعف القوى والقلوب عن مقاتلة العدو وحتى تقوى على الجهاد.

والتفقه في الدين أيضاً يعطي المعلومات الكافية عن الآخرة وعن الجنة ونعيمها وقصورها وما فيها من خير عظيم، وعن النار وعذابها وأنكالها وأنواع ما فيها من العذاب، فيكسب القلوب نشاطاً في طلب الآخرة وزهداً في الدنيا وإعداداً للأعداء وحرصاً على الجهاد في سبيل الله والاستشهاد في سبيله سبحانه وتعالى.

كما أن التفقه في الدين يعطي الشعب والوالي النشاط الكامل في كل ما يحبه الله ويرضاه وفي البعد عن كل ما يغضب الله سبحانه وتعالى، ويعطي القلوب الرغبة الكاملة في الاتحاد مع بقية المسلمين والتعاون معهم ضد العدو، وفي إقامة أمر الله وتحكيم شريعته والوقوف عند حدوده، ويحصل بذلك أيضاً التعاون على كل ما يجب لله ولعباده، فإن العلم النافع يدعو إلى العمل والتكاتف والتناصح والتعاون على

الخير، ويعطيهم أيضاً الحرص الكامل على أداء الفرائض والبُعد عن المحارم والشوق إلى الآخرة وعدم كراهية الموت في سبيل الحق وفي الجهاد في سبيل الله وفي قتال العدو وأخذ الحقوق منه.

وبالعلم تكون النفوس والأموال رخيصة في جلب رضى الله وفي سبيل إعلاء كلمة الله وفي سبيل إنقاذ المسلمين من سيطرة عدوهم وتخليصهم مما أصابهم من أنواع البلاء، وفي سبيل استنقاذ المستضعفين من أيدي أعدائهم، وفي سبيل حفظ كيان المسلمين وحوزتهم وأن لا تنتقص بلادهم وحقوقهم. فإذا كان الجهل فُقِدت هذه الأشياء وهذه الحقوق وهذه الخيرات وهذه المعلومات وهذا الإيثار وهذا الإرخاص للنفوس والأموال في سبيل الحق، وقد قال الشاعر:

ما يبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه

حال السلف:

ومن أراد الآخرة وأراد إعلاء كلمة الله والجهاد في سبيل الله لا تكون حاله هكذا، وفيما جرى لسلفنا الصالح في عهد نبينا عليه الصلاة والسلام وعهد صحابته المرضيين ومَنْ سار على طريقهم بعد ذلك فيما فعلوا من الجهاد وفيما أعدُّوا من العدَّة وفيما صبروا عليه من التعب والأذى، قدوة لنا وذكرى

لنا لإعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله، وإنقاذ بلادنا وقومنا من أيدي أعدائنا صبراً وتحملاً وجهاداً، وإيثاراً للآخرة، وبذلاً للمال والنفس للجهاد في سبيل الله عز وجل، وتدرباً على الجهاد والقتال، وحرصاً على الخشونة والصبر والتحمل، وذكراً للآخرة دائماً، وعناية بكل ما يعين على جهاد الأعداء، وصبراً على ذلك وتعاوناً وجمعاً للكلمة واتحاداً للصف حتى يحصل المراد من إعلاء كلمة الله وإنقاذ المسلمين من كيد عدوهم.

العلم الشرعي والعلم للدنيا:

وإذا علمنا الداء ـ وهو بيِّن وواضح ـ وهو كما علمنا غلبة الجهل وعدم التعلُّم والتفقه في الدين والإعراض عن العلم الشرعي، ورضى بالعلوم الدنيوية التي تؤهل للوظائف فقط، غير العلوم التي توجب الاستغناء عن الأعداء والقيام بأمر الله والبُعد عن مساخطه سبحانه، وإنما هي علوم قاصرة ضعيفة قصاراها أن تؤهل لعمل عاجل دنيوي في بلاد الفرد ودولته - إذا علم ذلك فإن الواجب علاجه بالعلم الشرعي، إذ قَلَّ من يعنى بالعلم النافع الذي جاء به المصطفى عليه الصلاة والسلام، وقَلَّ مَن يعنى بالإعداد للأعداء حتى يتمكن ذلك الشعب وتلك الدولة من إيجاد ما يغني عن الأعداء.

الجهاد وطريق النجاح:

فالداء واضح وبيِّن وهو مكون من عدة أدواء نشأت عن الجهل والإعراض والغفلة، حتى صار الموت مرهوباً، والدنيا مؤثرة ومرغوب فيها، وحتى صار الجهاد شبحاً مخيفاً لا يقبله إلا القليل من الناس، وصار الهدف ليس لإعلاء كلمة الله، بل إما لقومية وإما لوطنية وإما لأشياء أخرى غير إعلاء كلمة الله وإظهار دينه والقضاء على ما خالف ذلك.

فالإعداد ضعيف أو معدوم والأهداف منحرفة إلا ما شاء الله. فطريق النجاح وطريق التقدم ضد الأعداء وعدم الضعف أمامهم وطريق الفلاح والنجاح والحصول على المقامات العالية والمطالب الرفيعة والنصر على الأعداء، طريق كل ذلك هو في الإقبال على العلم النافع، والتفقه في الدين وإيثار مرضاة الله على مساخطه، والعناية بما أوجب الله وترك ما حرم الله، والتوبة إلى الله مما وقع من سالف الذنوب، ومن التقصير توبة صادقة، والتعاون الكامل بين الدولة والشعب على ما يجب من طاعة الله ورسوله، والكف عن محارم الله عز وجل.

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة:

ويجب أيضاً من إعداد العدة كما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. إلخ.

بالأشرار ليعلم صدق الصادقين وكذب الكاذبين، وليعلم المجاهد من غيره، وليعلم الراغب في النجاة من غيره، وإلا فهو القادر على نصر أوليائه وإهلاك أعدائه من دون حرب ومن دون حاجة إلى جهاد وعدة وغير ذلك، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]، وقال سبحانه في سورة الأنفال في قصة بدر: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأنفال: ١٠]، يعني إمدادهم بالمدد من الملائكة، وقال سبحانه: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ١٠]، وفي آية آل عمران كذلك قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران: ١٢٦]، فالنصر من عنده جل وعلا، ولكنه سبحانه جعل المدد بالملائكة، وما يعطي من السلاح والمال وكثرة الجند كل ذلك من أسباب النصر والتبشير والطمأنينة، وليس النصر معلقاً بذلك، قال سبحانه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وكانوا يوم بدر ثلاثمائة وبضعة عشر، والسلاح قليل والمركوب قليل، والمشهور أن الإبل كانت سبعين، وكانوا

فلابد من إعداد العدة البدنية والمادية وسائر أنواع العدة من جميع الوجوه حتى نستغني بما أعطانا الله سبحانه عما عند أعدائنا فإن قتال أعدائنا بما في أيديهم من الصعب جداً الحصول عليه، فإذا منع العدو عنك السلاح فبأي شيء تقاتل؟! مع ضعف البصيرة وقلة العلم. فلابد من إعداد المستطاع، ويكفي المستطاع ما دام المسلمون قاصدين الاستغناء عن عدوهم وجهاد عدوهم واستنقاذ بلادهم، قاصدين إقامة أمر الله في بلاد الله، قاصدين الآخرة ما استطاعوا لكل ذلك. فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] إلخ، ولم يقل: وأعدوا لهم مثل قوتهم؛ لأن هذا قد لا يُستطاع.

وما النصر إلا من عند الله:

فإذا صدق المسلمون وتكاتفوا، وأعدوا لعدوهم ما استطاعوا من العدة ونصروا دين الله، فالله يعينهم وينصرهم سبحانه وتعالى، ويجعلهم أمام العدو وفوق العدو لا تحت العدو، يقول الله وهو الصادق في قوله ووعده: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)﴾ [محمد: ٧]، والله ليس بعاجز ولا في حاجة إلى الناس، ولكنه يبتلي عباده الأخيار

يتعاقبونها، وكان السلاح قليلاً وليس معهم من الخيل في المشهور سوى فرسين، وكان جيش الكفار حوالي الألف، وعندهم القوة العظمية والسلاح الكثير، ولما أراد الله هزيمتهم هزمهم ولم تنفعهم قوتهم ولا جنودهم، وهزم الله الألف وما عندهم من القوة العظيمة بالثلاثمائة وبضعة عشر وما عندهم من القوة الضعيفة، ولكن بتيسير الله ونصره وتأييده غلبوا ونصروا وأسروا من الكفار سبعين وقتلوا سبعين وهزم الباقون لا يلوي أحد على أحد وكل ذلك من آيات الله ونصره.

وفي يوم الأحزاب غزا الكفار المدينة بعشرة آلاف مقاتل من أصناف العرب من قريش وغيرهم وحاصروا المدينة واتخذ النبي ﷺ الخندق، وذلك من أسباب النصر الحسي، ومكثوا مدة وهم يحاصرون المدينة، ثم أزالهم الله بغير قتال، فأنزل في قلوبهم الرعب وسلَّط عليهم الرياح وجنوداً من عنده حتى لم يقر لهم قرار وانصرفوا خائبين إلى بلادهم، وكل هذا من نصره وتأييده سبحانه وتعالى، ثم خذلوا فلم يغزوا النبي ﷺ بالمدينة، بل غزاهم هو يوم الحديبية وجرى الصلح المعروف، ثم غزاهم في السنة الثامنة في رمضان وفتح الله عليه مكة، ثم دخل الناس أفواجاً في دين الله بعد ذلك.

فالمقصود أن النصر بيد الله سبحانه وتعالى، وهو الناصر

فلابد من إعداد العدة البدنية والمادية وسائر أنواع العدة من جميع الوجوه حتى نستغني بما أعطانا الله سبحانه عما عند أعدائنا فإن قتال أعدائنا بما في أيديهم من الصعب جداً الحصول عليه، فإذا منع العدو عنك السلاح فبأي شيء تقاتل؟! مع ضعف البصيرة وقلة العلم. فلابد من إعداد المستطاع، ويكفي المستطاع ما دام المسلمون قاصدين الاستغناء عن عدوهم وجهاد عدوهم واستنقاذ بلادهم، قاصدين إقامة أمر الله في بلاد الله، قاصدين الآخرة ما استطاعوا لكل ذلك. فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] إلخ، ولم يقل: وأعدوا لهم مثل قوتهم؛ لأن هذا قد لا يُستطاع.

وما النصر إلا من عند الله:

فإذا صدق المسلمون وتكاتفوا، وأعدوا لعدوهم ما استطاعوا من العدة ونصروا دين الله، فالله يعينهم وينصرهم سبحانه وتعالى، ويجعلهم أمام العدو وفوق العدو لا تحت العدو، يقول الله وهو الصادق في قوله ووعده: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧]، والله ليس بعاجز ولا في حاجة إلى الناس، ولكنه يبتلي عباده الأخيار

يتعاقبونها، وكان السلاح قليلاً وليس معهم من الخيل في المشهور سوى فرسين، وكان جيش الكفار حوالي الألف، وعندهم القوة العظمية والسلاح الكثير، ولمَّا أراد الله هزيمتهم هزمهم ولم تنفعهم قوتهم ولا جنودهم، وهزم الله الألف وما عندهم من القوة العظيمة بالثلاثمائة وبضعة عشر وما عندهم من القوة الضعيفة، ولكن بتيسير الله ونصره وتأييده غلبوا ونصروا وأسروا من الكفار سبعين وقتلوا سبعين وهزم الباقون لا يلوي أحد على أحد وكل ذلك من آيات الله ونصره.

وفي يوم الأحزاب غزا الكفار المدينة بعشرة آلاف مقاتل من أصناف العرب من قريش وغيرهم وحاصروا المدينة واتخذ النبي ﷺ الخندق، وذلك من أسباب النصر الحسي، ومكثوا مدة وهم يحاصرون المدينة، ثم أزالهم الله بغير قتال، فأنزل في قلوبهم الرعب وسلَّط عليهم الرياح وجنوداً من عنده حتى لم يقر لهم قرار وانصرفوا خائبين إلى بلادهم، وكل هذا من نصره وتأييده سبحانه وتعالى، ثم خذلوا فلم يغزوا النبي ﷺ بالمدينة، بل غزاهم هو يوم الحديبية وجرى الصلح المعروف، ثم غزاهم في السنة الثامنة في رمضان وفتح الله عليه مكة، ثم دخل الناس أفواجاً في دين الله بعد ذلك.

فالمقصود أن النصر بيد الله سبحانه وتعالى، وهو الناصر

لعباده، ولكنه سبحانه أمر بالأسباب، وأعظم الأسباب طاعة الله ورسوله ﷺ، ومن طاعة الله ورسوله التعلم والتفقه في الدين حتى تعرف حكم الله وشريعته لنفسك وفي نفسك وفي غيرك وفي جهاد عدوك، وحتى تعد العدة لعدوك، وحتى تكف عن محارم الله، وحتى تؤدي فرائض الله، وحتى تقف عند حدود الله، وحتى تتعاون مع إخوانك المسلمين، وحتى تقدم الغالي والنفيس من نفسك ومالك في سبيل الله عز وجل وفي سبيل نصر دين الله وإعلاء كلمته لا في سبيل الوطن الفلاني ولا القومية الفلانية.

أسباب النصر:

فهذا هو الطريق وهذا هو السبيل للنصر على الأعداء بالتعليم الشرعي والتفقه في دين الله من الولاة والرعايا والكبير والصغير، ثم العمل بمقتضى ذلك وترك ما نحن عليه مما حرم الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فمن أراد من الله النصر والتأييد وإعلاء الكلمة فعليه بتغيير ما هو عليه من المعاصي والسيئات المخالفة لأمر الله، وربك يقول جل وعلا: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ

بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، ما قال الله: وعد الله الذين ينتسبون إلى قريش أو العرب أو الذين يبنون القصور ويستخرجون البترول... إلخ، بل علَّق الحكم بالإيمان الصادق والعمل الصالح سواء كانوا عرباً أو عجماً.

هذه هي أسباب النصر والاستخلاف في الأرض لا العروبة، ولا غير العروبة ولكنه إيمان صادق بالله ورسوله وعمل صالح.

هذا هو السبب وهذا هو الشرط وهذا هو المحور الذي عليه المدار، فمن استقام عليه فله التمكين والاستخلاف في الأرض والنصر على الأعداء، ومن تخلف عن ذلك لم يضمن له النصر ولا السلامة ولا العز، بل قد ينصر كافر على كافر، وقد ينصر مجرم على مجرم وقد يُعان منافق على منافق ولكن النصر المضمون الذي وعد الله به عباده المؤمنين لهم على عدوهم إنما يحصل بالشروط التي بيَّنها سبحانه وبالصفات التي أوضحها جل وعلا وهو الإيمان الصادق والعمل الصالح.

ومن ذلك نصر دين الله، قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ

ٱلْمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]، هذا هو نصر دين الله فمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فقد نصر دين الله؛ لأن من ضمن ذلك أداء فرائض الله وترك محارم الله، وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فأهل الفلاح والنصر والعاقبة الحميدة هم الذين عملوا الصالحات وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ونصروا الله عز وجل. وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧].

واجب ولاة الأمور والعلماء:

فالدواء واضح والعلاج بيِّن، لكن أين مَن يريد الدواء وأين من يريد العلاج وأين من يستعمله؟ هذا واجب ولاة الأمور والعلماء والأعيان في كل مكان وفي جميع الدول الإسلامية إذا كانوا صادقين في الدعوة إلى الإسلام؛ وذلك بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحفاظ على ذلك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتفقه في الدين، وإصلاح

المناهج في المدارس في جميع المراحل، والتعاون أيضاً في التكاتف ضد الأعداء والاتحاد، مع الإخلاص لله في العمل والصدق فيه ونية الآخرة.

وبذلك يستحقون النصر من الله والتأييد منه سبحانه كما كان الأمر كذلك عند سلفنا الصالح مما لا يخفى على أهل العلم.

وبالأمس القريب الإمام المجدد لمعالم الإسلام في القرن الثاني عشر لما رأى ما رأى من الجهل العظيم، وتعطيل أحكام الشريعة وكثرة الجهل في الجزيرة وغيرها، وقلة الدعاة إلى الله عز وجل وانقسام أهل الجزيرة إلى دويلات صغيرة، على غير هدى وعلى غير علم. رأى أن من الواجب عليه أن يقوم بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وأن ينبههم إلى ما وقعوا فيه من الخطر، وأن يسعى على جمع كلمتهم على الحق، وعلى رئيس واحد يقيم فيهم أمر الله ويجاهدون في سبيل الله.

فجدَّ رحمه الله في ذلك ودعا إلى الله واتصل بالأمراء، وكتب الرسائل في أمر التوحيد وتحكيم شريعة الله وترك الشرك به، ولم يزل صابراً على ذلك محتسباً بعد ما درس وتفقه في الدين على مشايخ البلاد وغيرهم، ثم جد في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله وجمع الكلمة في حريملاء أولاً، ثم في العيينة، ثم انتقل ـ بعد أمور وشؤون ـ إلى الدرعية وبايعه

محمد بن سعود رحمه الله على الجهاد في سبيل الله وإقامة أمر الله، فصدقوا جمعياً في ذلك وتكاتفوا في ذلك وجاهدوا على ضعفهم حتى نصرهم الله، وأيدهم وأعلنوا التوحيد ودعوا الناس إلى الحق والهدى وحكموا شريعة الله في عباده، وبسبب الصدق والاستعانة بالله وحسن المقصد أيّدهم الله وأعانهم، وأخبارهم لا تخفى على كثير ممن له أدنى بصيرة.

ثم جاء بعد ما جرى من الفتور والانقسام جاء الملك عبدالعزيز رحمه الله وجد في هذا الأمر وحرص فيه، واستعان بالله سبحانه ثم بأهل العلم والإيمان والبصيرة وأعانه الله وأيّده، وجمع له كلمة المسلمين في هذه الجزيرة على كلمة واحدة، وعلى تحكيم شريعة الله وعلى الجهاد في سبيل الله حتى استقام أمره وتوحدت هذه الجزيرة ـ من شمالها إلى جنوبها وشرقها وغربها ـ على الحق والهدى بأسباب الصدق والجهاد وإعلاء كلمة الله تعالى، فالمقصود أن الأمثلة كثيرة في ذلك.

وهكذا صلاح الدين الأيوبي قصته معروفة ومحمود زنكي كذلك.

فالمقصود أن سلفنا الصالح الأوائل لمَّا صدقوا في جهادهم ـ في وقت نبيهم وبعده ـ أعزهم الله وأعلى شأنهم

واستولوا على المملكتين العظمتين - مملكة الأكاسرة ومملكة الروم في الشام وما حولها - ثم من بعدهم ممن صدق في دين الله نصرهم الله لِمَا عندهم من الصدق، والتكاتف في إعلاء كلمة الله.

ثم في أوقات متعددة متغايرة يأتي أناس لهم من الصدق والإخلاص ما لهم، فيؤيدون وينصرون على عدوهم على قدر إخلاصهم واجتهادهم وبذلهم.

في الختــام:

والذي نصر الأولين ونصر الآخرين سبحانه وتعالى هو الله عز وجل، وهو ناصر من نصره، وخاذل من خذله، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقال عز وجل: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩].

ولكن المصيبة في أنفسنا كما قال عز وجل: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. فالمصيبة جاءت من ضعف المسلمين، وتكاسلهم وجهلهم، وإيثارهم العاجلة، وحبهم الدنيا وكراهة

الموت، وتخلفهم عما أوجب الله، وترك الصلوات، واتِّباع الشهوات، وإيثار العاجلة والعكوف على المحارم والأغاني الخليعة والفساد للقلوب والأخلاق... إلخ.

فمن هذا وأشباهه سلَّط الله على المسلمين عدوهم كما قال جل وعلا: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء: ١٦].

نسأل الله عز وجل أن يمن علينا وعلى جميع المسلمين وولاة أمرهم بالتوبة إليه، والاستقامة على أمره، والتعاون على البر والتقوى، وعلى إعداد العدة لأعدائنا، والتفقه في الدين، والصبر على مراضيه، والبُعد عن مساخطه سبحانه، كما نسأله سبحانه أن يعيذنا جميعاً من مضلات الفتن، ومن أسباب النِقم، وأن ينصر دينه ويُعلي كلمته ويخذل أعداءه، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق والهدى، وأن يُصلح ولاة أمرهم، وأن يرزقهم البصيرة، إنه سميع قريب. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. [مجموع الفتاوى (٥/ ١٠١) للشيخ عبدالعزيز بن باز].

* * *

الفهـــرس

*　*　*



دار ابن الأثير